تأثير الاستعمار الإيطالي على الهوية الليبية

أ. سامية فتحـــي عبد الجليل ــ كلية التربية ـ القبة ـ جامعة درنة.
البريد الإلكتروني: s.abdaljal@uod.edu.ly

The Impact of Italian Colonialism on Libyan Identity

Summary

During the Italian colonization of Libya (1911-1943), Libyan identity was subjected to deliberate attempts at erasure and hybridization. The Italian occupation sought to impose its culture, language, and customs on the Libyan people, aiming to weaken national identity and undermine its historical and religious roots.

Key Aspects of the Impact:

- Attempts to Erase Religious Identity:
- Imposition of the Italian language in education and administration, aiming to distance Libyans from their Arabic language.
- Attempts at Christianization and the construction of churches in Libyan areas.
- Restriction of the practice of Islamic religious rituals.
- Control of Education and Culture:
- Closure of Quranic schools and establishment of Italian schools teaching Italian curricula.
- Prohibition of Libyan cultural activities and promotion of Italian culture.
- Attempts to erase Libyan historical heritage.
- Settlement Policies:
- Encouragement of Italian immigration to Libya to change the demographic composition.
- Confiscation of agricultural land and distribution to Italian settlers.
- Forced Conscription:
- Conscription of Libyan youth into the Italian army and sending them to battlefronts.

Keywords: Italian colonialism, Libya, national identity, culture, language, resistance.

الملخّـــــــص:

خلال فترة الاستعمار الإيطالي لليبيا (1911-1943)، تعرضت الهوية الليبية لمحاولات طمس وتهجين متعمدة، فسعى الاحتلال الإيطالي إلى فرض ثقافته ولغته

وعاداته على الشعب الليبي، بهدف إضعاف الهوية الوطنية وتقويض جذورها التاريخية والدينية. وأبرز جوانب التأثير:

محاولة طمس الهوية الدينية، وفرض اللغة الإيطالية في التعليم والإدارة بهدف إبعاد الليبيين عن لغتهم العربية، ومحاولات التنصير، وإنشاء الكنائس في المناطق الليبية. ، والتحكم في التعليم والثقافة ، وإغلاق المدارس القرآنية وتأسيس مدارس إيطالية تدرس المناهج الإيطالية ، وحظر النشاط الثقافي الليبي وتشجيع الثقافة الإيطالية ، ومحاولة طمس التراث التاريخي الليبي، والسياسات الاستيطانية ، وتشجيع الهجرة الإيطالية إلى ليبيا بهدف تغيير التركيبة السكانية ، ومصادرة الأراضي الزراعية وتوزيعها على المستوطنين الإيطاليين ،والتجنيد القسري ، وتجنيد الشباب الليبي في الجيش الإيطالي وإرسالهم إلى جبهات

الكلمات المفتاحية: الاستعمار الإيطالي، ليبيا، الهوية الوطنية، الثقافة، اللغة، المقاومة.

المقدمـــــة :

لا يمكن تحديد مفهوم معين للهوية، فهو مفهوماً واسعاً وفضفاضاً يتسم بالعمومية مثله مثل بعض المفاهيم الخاصة بالعلوم الإنسانية، هذا المفهوم الهلامي قد يحتمل الكثير من التعريفات والمعاني والمرادفات، وأكثر إثارة للجدل بين الأوساط السياسية والاجتماعية والثقافية نظراً لصفة الغموض و التماهي والتشعب و التلون الذي يتصف بها هذا المفهوم، لكنه يرتبط باللغة والدين والثقافة والتراث والحضارة، والعرف والعادات والتقاليد والاثار التاريخية ارتباطاً وثيقاً فمن أركان الهوية الأساسية اللغة والدين والتراث والعادات والتقاليد لذا تنبه الاستعمار لهذه الأركان المهمة في تاريخ الشعوب التي هيمن عليها على مر العصور فعمل على طمس هذه الهوية حتى تذوب في هويته وتتلاشى فيها فيطمس الهوية الأصل و يعمق الهوية الدخيلة، لذا جاءت أهمية هذا البحث " تأثير الاستعمار الإيطالي على الهوية الليبية، لقد رأينا أن موضوع ورقة العمل هذا لم يحض بالاهتمام الكافي والدراسة من قبل الباحثين.

وتهدف ورقة العمل إلى التطرق إلى تأثير الاستعمار الإيطالي على المقومات الأساسية للهوية الليبية من لغة ودين وحضارة وتراث وعادات وتقاليد.

وقد اعتمدنا في تقديم هذه الورقة على المنهج السردي القائم على جمع المادة من بعض المصادر والمراجع التاريخية المختلفة، وسردها بعد تحليها وصولاً لإبراز موضوع البحث وكتابته في الصورة البحثية المتكاملة.

وقد قسمت الورقة إلى:

المبحث الأول: قراءة في مفهوم الهوية والمصطلح، والمبحث الثاني: تأثير الاستعمار الايطالي على اللغة والدين والتعليم، والمبحث الثالث: الثقافة والتراث والآثار، والمبحث الرابع: الانتماء، والمبحث الخامس: السكان والهجرة والتوطين.

وقد تشكلت لنا بعض الصعوبات منها مشكلة الحصول على بعض المصادر والمراجع وذلك لندرة الكتب ووجودها في المكتبات وعدم الحصول عليها بسهولة.

المبحث الأول ـ قراءة في مفهوم الهوية والمصطلح:

تعددت المفاهيم والمعاني والتعريفات التي وضعها الفلاسفة منذ القدم كمفهوم للهوية ولم يكن هناك تعريف محدد لهذا المصطلح، فالمفكر الفرنسي أليكس ميكشللي اعتبر أن الهوية عبارة عن "منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية المعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها، فالهوية هي وحدة المشاعر الداخلية، التي تتمثل في وحدة العناصر المادية، والتمايز، والديمومة، والجهد المركزي، هذا يعني أن الهوية هي وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة، التي تجعل الشخص يتمايز عمن سواه، ويشعر بوحدته الذاتية (1)

الهوية لغة: الهوية مشتقة من فعل: هوى هوة وقيل: الهوية بئر بعيدة المهواة. (2)

والهُوية مصدر صناعي من كلمة هو للدلالة على أن الشيء هو هو، ثم يصدر شيئاً آخر وهي الذات الثابتة من خلال تغير أحوالها مثل: هوية الآنا (3)

يتبين لنا من خلال رؤية الباحثين في هذا المجال أن هناك ثلاث تصنيفات أو أنواع متداخلة لموضوع الهوية و تعطى شكل دوائر وهي الهوية الفردية داخل الجماعة وهوية الجماعة داخل الأمة وهوية الأمة داخل مجموعة من الأمم، لذلك جاهدت الأمم وكافحت من أجل أن تحافظ على قيمها ومبادئها المتوارثة والتي تعتز بها، الحفاظ عليها وتعديلها للتوافق مع المستجدات وتعليمها للأجيال القادمة و لا ينبغي عرفياً أو قانونياً تجاوزها أو خرقها، تظهر هذه القيم في طريقة تعامل الفرد مع الآخر وتعزز العلاقة بين الفرد والجماعة، هنا تأتي فكرة الانتماء ومن ثم الاستقرار و أخيراَ تعطي لنا فكرة عن كيفية تعامل الأمة مع الأمم الأخرى المحيطة بنا، إذن الهوية تعمق في عقل الفرد روح الانتماء وحب الانتساب إلى جماعة معينة، والأمة تبدأ في الوعي والبحث عن وسائل لتجسيد و ترسيخ وتكريس هذا الانتماء والمحافظة عليه وصيانته، وعبر القرون الماضية حدثت ظروف وتغيرات و أحداث وتسارع في تبديل عجلة المفاهيم والقيم والمبادئ مما شكل تهديداً لهوية الفرد و استقراره وخطراً يستهدف لغته

و دينه وعاداته وتقاليده في محيط جماعته وأمته التي ينتمي إليها ومن هناء جاء خطاب الهوية مطروحاً أكثر من ذي قبل مع ظهور ما يسمى بالتشكيل الجديد للهوية الذي طرحه (بول ريكور) وهو جعل من الهوية أسطورة، وصنفها كنوع من أنواع حب الذات وتقديسها غير قابلة للاختراق أو التخلي عن أحد مقوماتها، ومن ثم نادت لعض الجهات الغربية في أوربا على مدى خمس قرون بضرورة خلق هوية واحدة مشتركة في العالم ومن أهم مقومات هذه الهوية الأخلاق، ومنه نستنتج مما سبا أن الأخلاق هي السبيل الوحيد في توطين هوية إنسانية مشتركة شاملة تساهم فيها كل الذوات بغض النظر عن مكوناتها الثقافية والتاريخية، وأهم أبعاد الهوية البعد الوجودي والبعد المعرفي والبعد التاريخي والقيمي (4)

وتتأسس هوية كل أمة على ما تتميز به عن غيرها من الأمم، مثل الدين واللغة، والقومية والتراث والفن، إذن هي تعايش مجموعة من البشر واتفاقهم على مجموعة من المعتقدات، والأفكار، والمفاهيم، والعادات، والتقاليد التي تحكم وتنظم نمط حياتهم اليومية وتتشكل من خلال سلسلة من المراحل التاريخية الطويلة (5)

البعد التاريخي للهوية الليبية :

في التاريخ القديم كانت ليبيا تخضع لثلاث اتجاهات تاريخية، طرابلس تحت سيطرة الفينيقيين وبرقة تخضع للدولة الإغريقية، أما فزان فكانت تحت هيمنة جرمة، ظلت ليبيا هكذا حتى حكم الرومان الذي هيمن على طرابلس وبرقة لمدة أربعة قرون متتالية، أما أهم نقطة تحول في تاريخ ليبيا كانت عام 642م هذا التاريخ الذي أرتبط بالفتح العربي الإسلامي لبرقة ثم طرابلس في عام 644م وفزان عام 663م، وهنا تشكلت الهوية الليبية وتطبعت بالطابع العربي والقومي والإسلامي حيثُ استقر العرب الفاتحين هذه المناطق وانتشر الإسلام واللغة العربية وتزوجوا العرب الفاتحين من نساء البربر، بعد ذلك جاء الاستعمار الايطالي وظلت ليبيا تجاهد كي تحافظ على هويتها العربية والاسلامية رغم كل محاولات المستعمر للنيل منها، ظلت كذلك حتى لحظة استقلالها في ديسمبر من عام 1952م (6)

وفي العصر الحديث تنازعت اتجاهات رئيسية عديدة في الهوية الليبية بين الوطنية الليبية، والقومية العربية والإسلامية والإفريقية، ونتيجة لهذه الظروف المختلفة التي بعضها غير متعارض في حقيقته وجد الليبيون أنفسهم، أو هكذا كانت نظرة الشعوب الأخرى إليهم في صراع هوية تتعلق بمسألة الانتماء، هل الليبيون عرب مسلمون؟ أم أنهم مجتمع أفريقي؟ أم إنهم ليبيون فحسب؟

ونخلص إلى أن الهوية الليبية محصورة في الشعب الليبي في أنه شعب مسلم يغلب عليه الطابع العربي في الانتماء، واللغة، واللهجة الليبية الشعبية السائدة مع وجود بعض السكان الليبيين غير العرب كالليبي الأمازيغي، والتبو، والليبيون اليوم هم أمة وطنية واحدة يغلب الطابع الإسلامي العربي وهو الغالب على شعور وثقافة الغالبية العظمى من أفراده. إلا إن المكون الأمازيغي، وكذلك الزنجي الأفريقي، والصحراوي من حيث العنصر، وكذلك التأثير الثقافي يظل حاضرا في الشخصية الوطنية الليبية، ويظل جزء لا يتجزأ من هوية هذه الأمة التي تم الإعلان عن ميلادها عن طريق الأمم المتحدة في 24 ديسمبر. (7)

المبحث الثاني ـ تأثير الاستعمار الايطالي على اللغة والدين والتعليم:

كانت الكتاتيب والزوايا الدينية التي تدرس القرآن الكريم وأصول الدين واللغة العربية وهذا النمط هو التعليم السائد عند وقوع ليبيا تحت سيطرة الاحتلال الإيطالي، هذا الاحتلال أخذ في الاستيلاء على الأراضي الموقوفة التابعة لهذه الكتاتيب والزوايا سواء في الحكومة التي كونها الاستعمار في برقة أو الحكومة التي كانت تحت سيطرة الاحتلال الإيطالي في طرابلس، فقفلت أغلب المدارس والزوايا الدينية أبوابها بعد أن تم الاستيلاء على أراضيها، كانت الحكومة الإيطالية منذ البداية تتبع سياسية طلينة التعليم في ليبيا من خلال فرض عدة إجراءات وسلك بعض السياسات لتحقيق هذا الغرض، ففي عام 1912م قامت بتقييد التلاميذ الليبيين في المدارس واستخدام المعلمين الإيطاليين وبعض رجال الحرب من الضباط في التدريس، كما جعلت المدارس في المناطق التي تم احتلالها تتبع إلى وزارة المستعمرات الإيطالية في روما، وفي سنة 1914م ، وضعت السلطات الإيطالية قانوناً لتنظيم المدارس في برقة وطرابلس في عهد بيرتوليني وكان التركيز في ذلك العهد على المدارس العربية الإيطالية وسياستها التي تعمل على طمس الهوية والدين في ليبيا، هذا القانون الذي ينص على أن تعليم المواطنين والرعايا في المستعمرات التي وقعت تحت أيديهم يمكن أن يتم بناء على قرار يصدر بمرسوم وزاري من وزارة المستعمرات، كانت الدراسة بالمدارس الابتدائية بالمجان وتفرض الضرائب على المدارس المتوسطة تماشياً مع النظام التعليمي المتبع في إيطاليا.(8)

إن توجّه السكان المحليين إلى المدارس القرآنية التقليدية والابتعاد عن التعليم الابتدائي في ليبيا وذلك لأن معظم السكان المحليين يعتبرون هذا التعليم نوعاً من التعليم الأوربي العلماني، هذا التوجه كان في بداية المرحلة الأولى من الاحتلال

الإيطالي ولهذا كان إمكانية جعل التعليم في هذه المرحلة إلزامياً لم يؤتي ثماره إلا في المراكز الحضرية الكبيرة وفي العائلات الموسرة والأكثر تطوراً ثقافياً من السكان وفي سبتمبر من عام 1922م قرر الحاكم فولبي تغيير النظام التعليمي بالنسبة للمرحلة الابتدائية للسكان المحليين واستبدال ما يسمى بالمدارس الايطالية العربية بالمدارس الابتدائية العربية فقط ، حيث اللغة العربية هي الوسيلة الوحيدة للتعليم، وظل هذا النظام متبعاً حتى عام 1982م حيث ثم اعادة المدارس الايطالية العربية من جديد ورغم ذلك فقد تمركزت هذه المدارس في أماكن محدودة جداً في طرابلس وبنغازي وبعض المدن الساحلية . (9)

حاولتْ إيطاليا في الفترة ما بين 1914 -1922م سن قانونان فيما يتعلق بنظام التعليم في ليبيا وأصدرت الأول تحت رقم 931 والثاني تحت رقم 2401 لسنة1919 م وكانت تنص القوانين على حرية التعليم الخاص بالليبيين على أن يكون الأشراف العام فيه من قبل السلطات الحاكمة، التعليم يكون إلزامياً ومحدوداً وللذكور بالنسبة للطلبة الليبيين المسلمين، التعليم الاختياري للغة الايطالية في سنوات الدراسة الأولى الثلاث الابتدائية أما بعد ذلك يكون تعليم اللغة الايطالية إلزامياً خاصة في المراحل المتقدمة من التعليم، استخدام اللغة العربية في التعليم في كل المراحل، كانت مقررات المناهج الدراسية تحتوي على الحساب، المعلومات العامة ، معلومات عن ايطالية وليبيا، الرسم، الخط، الأشغال، البستنة، الابتعاد عن المقررات الدراسية التي تسيء للعقيدة الإسلامية، أنشاء مرحلة ثانوية تنقسم إلى مرحلة إعدادية ومرحلة عالية ، نلاحظ أنها ومن خلال مسودة قانون برقة قد اجازت تدريس بعض المواد باللغة العربية وتدريس قواعد الإسلام، كما كان هناك تعليماً مهنياً وزراعياً في مدرسة الفنون والصنائع ببنغازي، لقد حاولت إيطاليا من خلال سياستها التعليمية كسب رضى الليبيين الذين كانوا على يقين تام بنواياها المتمثلة في الاحتفاظ في بسط سيطرتها الكاملة على الأراضي الليبية. (10)

جاءت بعد ذلك اتفاقية الرجمة في 25أكتوبر عام 1920م بعد عدة مناوشات سياسية بين السلطات الايطالية و الحركة السنوسية، وكان من نتائج هذه الاتفاقية أنها مهدت لتأسيس أول برلمان ليبي في برقة وبناء على ما جاء في المادة الثالثة عشر من الاتفاق كان من الضروري انشاء لجنة تعليمية تتبنى فكرة الاصلاح فشكلت لجنة فنية تتكون من ستة خبراء من الايطاليين بينهم ممثلان من مجلس نواب برقة، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أهتم الايطاليون بما يسمى بالتعليم المهني والزراعي، فتم انشاء

مدرسة الفنون والصنائع في بنغازي بشكل يختلف عن المدرسة المهنية الموجودة في طرابلس، راعت السلطات الايطالية موقف السكان الليبيين من تعليم المرأة في ذلك الوقت، وقد كانت المباني الخاصة بالمدارس في ليبيا عبارة عن مباني إضافية الحقت بالمباني الخاصة بالمدارس القومية الإيطالية التي كانت يتعلم فيها أبناء الجالية الايطالية في ليبيا، بالإضافة إلى المدرسة العربية الإيطالية في البركة و الصابري ببنغازي (11)

في الفترة من 1934-1940م وخلال فترة ولاية بالبو كان هناك تطوراً ملحوظا في مجال التعليم، هذا التطور الكمي والنوعي حيث ثم إنشاء عدد من المدارس خاصة التعليم الابتدائي في جميع أنحاء الأراضي الليبية وتشجيع السكان الليبيين على التعليم في محاولة ذكية لإبعاد المدارس الدينية التقليدية واستبدالها تدريجياً بهذه المدارس وفي هذا العمل ما يعمل على جعل المدرسة أداة تعمل على ترسيخ النظام الفاشي من خلال العمل على تكييف الشباب الليبي وربطه بمصالح النظام الفاشي واستمالة السكان الليبيين للاندماج مع الايطاليين والتعاون فيما بينهم بعد ان يتم إضفاء الفاشية تدريجيا على النظام المدرسي وبالتالي سيطرة نظام موسوليني على كل جوانب الحياة في البلاد، كما شجع النظام الفاشي من خلال ولاية بالبو حضور الأطفال العرب الليبيين إلى المدارس، وقدم عدة خدمات تشمل ترميم المباني المدرسية بشكل مكثف وبناء عدد من المدارس الجديدة في المراكز الحضرية الرئيسية في كل من اقليمي برقة وطرابلس وكذلك في المناطق الصحراوية الداخلية كما اهتمت بالكادر التعليمي المؤهل الذي يتم تجنيده وتدريبه بحيث تكون له مهمة مزدوجة ذات حدين تعليم الشباب الليبي من ناحية وتجسيد كل مساوئ ومحاسن النظام الفاشي عند هؤلاء الشباب من ناحية أخرى كما عملت هذه الحكومة على تجنيد المعلمين الليبيين واعدادهم وتدريبهم وتأهيلهم للتدريس في المدارس الحكومية مما يضمن الولاء من قبلهم لهذه الحكومة، كما عملت على هيكلة أعضاء هيئة التدريس وتدريبهم خصوصا المنحدرين من البلد الأم ايطاليا، كما تضمنت المواد التعليمية لمدارس المرحلة الابتدائية تدريس قواعد اللغة الايطالية وكذلك التعبير باللغة الإيطالية في حصص الإنشاء، كما نلاحظ أنه تم إعداد كتاب التاريخ للصف الثالث عن ليبيا بداية من العصر الحجري وحتى عصر الدولة العثمانية باللغة الايطالية وكان مرفقاً به جداول تتعلق بأبجديات اللغة الإيطالية والعربية، كما كان ببعض المناهج موضوعات تتضمن مقتطفات من خطابات موسوليني ذات الصبغة الدعائية وصوراً للحزب الفاشستي،

هذه المناهج ذات طابع ترسيخي تعمل على جعل الطالب يتشرب مبادئ الولاء للحزب الفاشستي الذي وحد إيطاليا وجعلها دولة قوية، كما كان الطالب يقرأ في هذه المناهج عبارات التبجيل مثل " يعيش موسوليني وتحيا إيطاليا" ومن خلال ما سبق نستنتج أن محاولة طلينة الليبيين كان الهدف الإيطالية (12)

المبحث الثالث ـ الثقافة والتراث والآثار:

لقد اتبعت إيطاليا منذ البداية سياسة دقيقة وخطة مدروسة لغرض نشر ثقافتها الإيطالية في ليبيا، وكانت لها عدة وسائل في سبيل تحقيق ذلك، في مقدمة هذه الوسائل المؤسسات الدينية ولعبت على مشاعر الليبيين تجاه تمسكهم بالعقيدة الإسلامية واعتبار أن الدين من المقدسات التي يجب عدم المساس بها، وقد أدركت إيطاليا ذلك تمام الأدراك وفهمت أن مجرد الاقتراب من هذا الركن سيثير مشاعر الكره وسيؤجج الحرب ضدها من قبل الليبيين، فمنذ البداية تظاهرت باحترام الدين الإسلامي، وتقدير المعتقدات والأعراف والتقاليد المتبعة في البلاد، تبنت ايطاليا وسيلة أخرى لنشر ثقافتها ولغتها وتعاليمها الإيطالية ألا وهي المؤسسات التعليمية التي حاولت من خلالها على خلق جيل جديد تقوم بغرس ثقافتها ولغتها وحب إيطاليا في وجدانه وعقله، كما أنه هناك وسائل أخرى مثل الأعلام والصحافة والمسرح (13) ، فقد قام الجنرال " كانيفا" بإصدار منشور بعد الاستيلاء على طرابلس بتاريخ 19 اكتوبر عام 1911م، وتم تطبيق هذا المنشور عملياً عن طريق اجراء بعض الممارسات الرسمية وغير الرسمية التي تجعل الليبيين يشعرون بالطمأنينة تجاه معتقداتهم وشعائرهم الدينية ومن هذه الممارسات التي جاءت في المنشور: -

1- خفض أو رفع ساعات منع التجوال في رمضان أثناء الحرب.
2- إطلاق المدافع ساعة الإفطار وساعة الإمساك عن الطعام في رمضان.
3- تقفل بيوت الدعارة المرخص بها وكذلك يمنع المسلمون من تعاطي الخمر خلال الشهر الكريم.
4- تقام الاحتفالات الرسمية بأعياد المسلمين والتي يحضرها الوالي وكبار المسؤولين.
5- سهلت الحكومة الاجراءات للراغبين في أداء فريضة الحج.

كما أولت الحكومة الإيطالية اهتماماً خاصاً بالمساجد لما لهذه المرافق من أهمية من الناحيتين الدينية والاجتماعية وكان ذلك لتبرهن على حسن نواياها فحافظت على استقلالية المساجد ضمن إدارة الأوقاف الإسلامية، كما واصلت الكتاتيب والزوايا أداء رسالتها وحافظت على التعاليم الإسلامية واللغة العربية، كما ساهمت الحكومة

الإيطالية في ترميم بعض المساجد، كمسجد سيدي الشنشان في طرابلس ومسجد سيدي رافع في البيضاء، وسيدي عبد السلام في زليطن كما بنت بعض المساجد الجديدة في بعض مناطق البلاد وكانت تقام الاحتفالات الرسمية عند الانتهاء من هذه الاعمال وكان يحضرها كبار المسؤولين الايطاليين مثل موسيليني الذي زار مسجد سيدي رافع الانصاري ومسجد سيدي عبد السلام الاسمر وقدم الهبات والهدايا للمسجدين من فرش ومصابيح ثمينة (14)

تعد الصحف على الرغم من محدودية انتشارها من أهم وسائل الأعلام فهي نخاطب الفئة المتعلمة وحتى الفئة التي لا تقرأ هذه الصحف تجلب من يقرأ لها من فئة المتعلمين وأهمية هذه الصحف عظيمة فهي تخاطب الفئة الواعية من المجتمع الليبي وكانت مثلها مثل المؤسسات التعليمية التي حددت لها مهام معينة منها نشر الثقافة واللغة الايطالية لدى العرب، ومع بداية الغزو الإيطالي أكتوبر 1911م قامت السلطات الإيطالية بإيقاف جميع الصحف العربية ومنع المطبوعات العربية من الدخول إلى البلد، واستولت على جميع المطابع العاملة في ة ليبيا وخلال الفترة الواقعة بين عامي 1911م حتى 1919م , أصبحت الساحة خالية تماما من أي صحيفة ناطقة باللغة العربية، في حين امتلأت الساحة بالجرائد والصحف والإصدارات الناطقة بلغة المستعمر (15)

المبحث الرابع ـ الانتماء:

الانتماء يعنـــي الارتباط الحقيقي بشيء ما ،وفي الغالب يتملك الشّخص ذلك الشعور نتيجة لتعلقه بهذا الشيء و خير أنواع الانتماء هو الانتماء للدين ،و الانتماء للوطن و سوف تتعرف عزيزي القارئ من خلال السطور التالية لهذه المقالة على مفهوم الانتماء و خصائصه ،وأنواعه ، ويقصد بالانتماء تعلق الشخص بأمر ما مثلاً كتعلق الإنسان بأسرته أو بوطنه أو بالمجتمع الذي نشأ فيه ففي اللغة يقصد بالانتماء الانتساب إلى شيء ما ،و قد يرى البعض أن الانتماء يعني تمسك الفرد بعنصر من عناصر البيئة التي تحيط به ،و بناء على ذلك فهو يحاول أن يحافظ على الارتباط الذي يربط بينه و بين ذلك العنصر من كافة النواحي سواء الناحية الوجدانية أو العاطفية ،و من ناحية آخر يعرف الانتماء أنه الارتفاع بشيء ما ،و النمو به و الشعور بالفخر ،و الاعتزاز بهذا الشيء كما يعد الانتماء أحد العوامل الهامة التي تساعد على بناء المجتمعات ،و نموها فمثلاً اذا كان الشخص ينتمي لمجتمعه بالطبع سيعمل بكامل طاقته من أجل تقدم ،و نهضة مجتمعه ويقوي أواصر العلاقات الاجتماعية فمثلاً

عندما ينتمي الشخص لجماعة ما فهو يسعى من أجل القيام بكافة النشاطات ،و الأعمال التي ترفع من قدر هذه الجماعة أو تساعدها ،و هذا أيضاً ما يؤدي إلى انتشار الأخلاق و القيم السامية مثلاً كالكرم ،والإحسان إلى الغير و التعاون، يحد الانتماء من انتشار العادات ، والظواهر التي تعوق مسيرة التقدم فمثلاً اذا كان هناك شخص يعمل بشركة ما فإن انتماؤه لها سوف يساعده على القيام بالأعمال المطلوبة على أكمل وجه دون تقصير خوفا على مصلحة المكان ، كما أنه هناك ارتباط وثيق بين مفهوم الانتماء ،و المواطنة فكل منهما لا يتحقق بدون الآخر ،والانتماء للوطن يأتي من ارتباط الإنسان بالمكان الذي نشأ فيه ، وهذا الشعور يعتبر شعور وراثي فهو يولد مع الإنسان ، ويبدأ من ارتباطه بواليه ثم بالأرض التي ولد عليه ثم إلى السكان ،و الأفراد المحيطين به ،و يظهر انتماء الإنسان بوطنه من خلال المحافظة عليه ،و العمل من أجل تقدمه (16)

عملتْ حكومة الاحتلال الايطالية خلال فترة تواجدها في ليبيا على طمس فكرة الانتماء للوطن والدين واللغة لدى السكان الاصليين في ليبيا، قامت إيطاليا بجريمة لا مثيل لها حيث ارتكبت إبادة جماعية، للاستيلاء على برقة، من خلال القيام ببناء معسكرات اعتقال كما قام موسيليني بقصف القرى وإلقاء القنابل الغازية علي البلاد من الجوّ. نتيجة لذلك، تقلص عدد سكان ليبيا وانخفض من 1,4 مليون نسمة عام 1907 إلى 825 ألفا عام 1933. وقد تم إرسال العديد من الأيتام إلى معسكرات إيطالية لـ" إعادة التعليم"، وطمس فكرة الانتماء للوطن لديهم وقد تمّ بذلك تدمير النسيج الاجتماعي والاقتصادي والديني في مقاطعة برقة، "يتذكر المهندس الليبي "حسن غريتلي" ردة فعله نفسها: "لقد أردنا التغيير دون أن ندرك ما يعنيه ذلك فعليا"، كان "غريتلي" في العشرين من عمره عام 1969. تراجع عن دعمه للانقلاب عندما تم ترحيل الإيطاليين: "لقد قاموا بمطاردة جيراننا وأصدقائنا المقربين. شعرت وكأن جزءا مني يتم ترحيله". يضيف "غريتلي" في مقابلة معه في صالات جمعية الإيطاليين العائدين من ليبيا (AIRL): "أشعر أن ثقافتي إيطالية". تأخذ جمعية الإيطاليين المرحلين ثلاث غرف في قصر أصفر شمال محطة ترميني في روما مقرا لها. يحافظ "غريتلي" على علاقة وثيقة مع الجمعية حيث يقوم بتنظيم الأحداث الرياضية لإعادة اللحمة بين الشباب الإيطالي والليبي ويقول أنّه "يمكن لإيطاليا أن تلعب دورا مهما في ليبيا إذ يمكن للإيطاليين المرحلين خدمة البلاد بشكل كبير لأنهم ما زالوا يشعرون أنهم ليبيون"، ارتاد "حسن غريتلي" مدرسة إيطالية في طرابلس وهو متزوج من إيطالية منذ عام 1992 ويتنقل بين روما وطرابلس مرورا بتونس،

وتستغرق الرحلة من هناك إلى طرابلس ثماني ساعات بالسيارة. و يتحسر "غريتلي" على إلغاء الرحلات الجوية المباشرة التي كانت تستغرق ساعة ونصف فقط، يبدو مظهر "غريتلي" أقرب للإيطاليين منه إلى العرب بسرواله الأزرق الفاتح وقميص بولو أبيض. يشير "غريتلي" إلى صورة "هربرت باغاني"، المطرب الإيطالي اليهودي المولود في طرابلس، المعلقة إلى جانب ملصقات إيطالية قديمة وصور فوتوغرافية لليبيا بالأسود والأبيض ويقول: "يدرك الناس اليوم أنهم كانوا يقضون أوقاتا طيبة مع الإيطاليين" (17)

كما عملت الحكومة الإيطالية على تعميق فكرة الانتماء لإيطالية لدى السكان الأصليين نجد ذلك من خلال الكم الهائل من مفردات اللغة الإيطالية التي بدأ السكان المحليين شيئاً فشيئاً في استعمالها والتعامل بها خاصة في المجالات الجديدة بها التي بدأت تقتحم الحياة اليومية وبدأ التعامل كالآلات والمعاملات الإيطالية مما يدخل في الأذهان فكرة الانتماء ويعززها بطريقة غير مباشرة، مثلاً في المجال الإداري نجد الاصطلاحات الجديدة فكلمة مكتب " فيشو" هي نفسها الكلمة الايطالية التي تعبر عن المصطلح مكتب وكذلك كلمة طلب "دوماندا" والكثير الكثي والكثير الكثير من المفردات التي دخلت وامتزجت بالكلمات العربية في تلك الفترة. (18)

وامعاناً في طمس الهوية الليبية فكانت الحكومة الايطالية تقوم بإرسال 20الف مستوطن إيطالي في العام الواحد إلى الشواطئ الليبية، وذلك من خلال سياسة خبيثة تعمل على جعل الأغلبية العظمى من السكان إيطاليين وتقليص عدد السكان الاصليين إلى أن يصبحوا هم أقلية في بلاده، فعامل الانتماء يعتبر من أهم الشعور الفردي ولذلك سخر المستعمر الايطالي كل إمكانياته الفكرية والثقافية والقهرية لاقتلاعها من جذورها العميقة في النفس. (19)

المبحث الخامس ـ السكان والهجرة والتوطين :

تُعتبر فترة الاستعمار الإيطالي لليبيا (1911-1943) من أهم الفترات في تاريخ ليبيا الحديث، حيث شهدت تغييرات ديموغرافية واجتماعية واقتصادية عميقة، هدفت ورقة العمل هذه إلى تحليل تأثير الاستعمار الإيطالي على السكان والهجرة والتوطين في ليبيا، وذلك من خلال استعراض السياسات الاستعمارية الإيطالية وتأثيرها على التركيبة السكانية للبلاد، لجأت إيطاليا إلى القمع العنيف لمقاومة الشعب الليبي، بهدف فرض سيطرتها على البلاد مما أدى إلى انخفاض عدد السكان الليبيين نتيجة للحروب والاضطهاد والهجرة وهذا سبب في حدوث تغييرات ديموغرافية كبيرة في ليبيا (20)

نتيجة لسياسة القمع العنيف من قبل الحكومة الإيطالية التي فرضتها على ليبيا وتعرض الشعب الليبي إلى الضغوطات العسكرية والاجتماعية و الاقتصادية وسياسة القتل والتجويع، كما قامت الحكومة الإيطالية بفرض حصار شديد على المدن الساحلية والقرى التي حققت فيها المقاومة انتصارات باهرة من قبل المجاهدين وذلك للتضييق على كل معارض لسياستها، تسبب ذلك في هجرة الكثير من السكان الليبيين إلى الدول المجاورة مثل مصر وتونس والجزائر وكذلك تشاد والنيجر وغيرها من الأقطار الأخرى مثل سوريا وتركيا ومن أسباب الهجرة - أيضا - تعرض البلاد إلى حالة من الجفاف في أسوأ حالة اقتصادية مرت بالبلاد، تسببت انعدام المحاصيل الزراعية ، وانتشار الأمراض الفتاكة وزدات الأحوال بؤساً وانتشر الجراد، ونتيجة لهذه الظروف هاجر الليبيون إلى مصر عن طريق القوافل البرية وكان من بينهم صحفيون وموظفون وشيوخ ونساء وأطفال كذلك انتشرت الأمراض الفتاكة كالجذري والبلهارسيا والطاعون وغيرها، وتسبب في حدوث تغييرات ديموغرافية في ليبيا (21)

من الأسباب التي أدّت إلى حدوث تغييرات في الديموغرافية السكانية ظاهرة النفي التي اتبعتها السلطات الإيطالية في ليبيا، لقد كانت الحكومة الإيطالية كلّما تعرضت إلى المقاومة الشديدة من قبل المجاهدين الليبيين عمدت إلى رفع وتيرة التنكيل والتعذيب والقتل فعقب كل هزيمة للحكومة الإيطالية تلجأ إيطاليا إلى عمليات نفي جماعية لإعداد كبيرة من الليبيين وبالمقابل توطين أعدادا مضاعفة من الإيطاليين ، وتقوم بعمليات نفي جماعية إلى الجزر الإيطالية ، وقد مرت عملية النفي بعدة مراحل، المرحلة الأولى : بعد معركة الشط الشهيرة عام 1911م، والمرحلة الثانية :كانت عام 1915م بعد معركة القرضابية حتى نهاية المقاومة 1932م ، والمرحلة الثالثة : بدأت بعد انتهاء المقاومة واستمرت حتى خروج إيطاليا من ليبيا، وهكذا نلاحظ أنه عند اشتداد المقاومة وتصاعدها من قبل الليبيين ضد المستعمر الايطالي تلجأ الأخيرة إلى عمليات النفي كتنفيس لها عن الهزائم والخسائر التي غالباً ما تكون فادحة في صفوف الجنود الإيطاليين، لقد تحججت إيطاليا أمام العالم بدواعي أمنية واقنعت الرأي العام أن هؤلاء يشكلون خطراَ على أمنها، وكذلك خوفاً من أن ينقلب عليها العالم نتيجة للمذابح والمجازر التي ارتكبتها في حق الليبيين.(22)

الاستيطان البشـــــري الإيطالي في ليبيا:

شجعت إيطاليا على هجرة أعداد كبيرة من مواطنيها إلى ليبيا بهدف الاستيطان وتوطيد نفوذها في المنطقة، ومن أهداف الاستيطان الإيطالي:

ـ توطيد الســـيطرة: كان الهدف الرئيسي من الاستيطان هو تعزيز السيطرة الإيطالية على الأراضي الليبية وتغيير التركيبة السكانية لصالح المستوطنين الإيطاليين.

استغلال المـــوارد: سعت إيطاليا إلى استغلال الثروات الطبيعية لليبيا، مثل النفط والزراعة، لتحقيق مكاسب اقتصادية.

توسيع الإمبراطورية: كان الاستيطان جزءًا من طموحات إيطاليا لتوسيع نفوذها في البحر المتوسط وتحقيق مكانة دولية كقوة استعمارية.

آثار الاستيطان على المجتمع الليبـــــي:

ـ التغيير الديموغرافي: أدى تدفق المستوطنين الإيطاليين إلى تغير كبير في التركيبة السكانية لبعض المناطق، خاصة في المناطق الساحلية.

ـ **الاستيلاء على الأراضي:** تم مصادرة أراضٍ واسعة من السكان الليبيين لصالح المستوطنين الإيطاليين، مما تسبب في نزوح كبير وتشريد للسكان.

التمييز العنصري: عانى الليبيون من تمييز عنصري شديد تحت الحكم الإيطالي، حيث حُرموا من الحقوق السياسية والاجتماعية.

ـ **تدمير البنية التحتية:** تعرضت العديد من المدن والقرى الليبية للتدمير خلال حروب المقاومة، مما أثر سلبًا على البنية التحتية والاقتصاد

كان الاستيطان الإيطالي في ليبيا محاولة فاشلة لتغيير الهوية الليبية واستغلال ثروات البلاد. على الرغم من القمع الشديد، تمكن الليبيون من الحفاظ على هويتهم الوطنية والتصدي للاستعمار. وقد ترك الاستعمار الإيطالي آثارًا عميقة على المجتمع الليبي، والتي لا تزال آثارها موجودة حتى اليوم (23)

حشر أهالي برقة في المعتقلات الجماعية:

أنشأت السلطات الإيطالية سلسلة من المعتقلات في مختلف أنحاء ليبيا، وكان من أشهرها معتقل العقيلة، البريقة، وغريان. وهدفت هذه المعتقلات إلى:

1ـ القضاء على المقاومة الليبية من خلال اعتقال قادة المقاومة وأفراد القبائل المناهضة للاحتلال.

2ـ تفريغ المناطق التي كانت معاقل للمقاومة، ما يُعرف بسياسة "الأرض المحروقة."

3ـ إرهاب الشعب الليبي وإضعاف الروح المعنوية لديهم.

خلَّفت المعتقلات آثارًا اجتماعية ونفسية عميقة، أبرزها:

1ـ فقدان آلاف الأرواح، مما أثـر على التركيبة السكانية في البلاد.

2ـ تدمير القرى والمجتمعات التي أُجبر أهلها على النزوح أو الاعتقال.

3- تعزيز الروح الوطنية وزيادة الوعي بأهمية مقاومة الاحتلال. (24)

الخاتمـــــــــة:

لقد كشف هذا البحث عن التأثير العميق للاستعمار الإيطالي على الهوية الليبية، حيث سعى الاحتلال إلى طمس معالم الهوية الوطنية وإحلال ثقافته وهويته محلها من خلال سياسات متعددة شملت اللغة، التعليم، الدين، والتركيبة السكانية. على الرغم من القمع والتحديات، أظهرت الهوية الليبية صمودًا مذهلًا، واستطاع الليبيون بفضل وعيهم الوطني وقوة إرادتهم الحفاظ على موروثاتهم الثقافية والدينية، مما ساهم في تعزيز شعورهم بالانتماء ورفضهم لمحاولات الطمس والهيمنة.

أكّـد البحث أن تأثير الاستعمار لم يكن محصورًا فقط في الجوانب الثقافية والدينية، بل امتد ليشمل الأبعاد الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية، مما يبرز أهمية الحفاظ على دراسة وتحليل هذه الفترة لفهم أعمق لتاريخ ليبيا وهويتها الوطنية. ختامًا، يظل درس المقاومة الليبية مصدر إلهام يعزز الروح الوطنية، ويؤكد أن الهوية قادرة دائمًا على الصمود أمام محاولات الطمس والاندثار.

الهوامـــــــــش:

[1] - مؤسسة لجان العمل الصحي www.hwc-pal.org، مفهوم الهوية، ص1.
[2] - ابن منظور، لسان العرب، دارصادر، بيروت، (د.ط) ،(د،ت) ، ص 374.
[3] - محمد يعقوبي ، معجم الفلسفة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008، ص174.
[4] - كويزي صفاء، إشكالية الهوية بين الايدلوجية والتاريخ عند أبو القاسم سعد الله، مذكرة مقدمة استكمال متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي، جامعة قاصدي مرباح، 2020م، ص22-24.
[5] - النعمي السائح العالم، اشكالية التأصيل المنهجي والمعرفي لمفهوم الهوية الليبية، مجلة الجامعي، العدد 32، جامعة طرابلس 2020م، ص4.
[6] - النعمي السائح العالم، المرجع السابق، ص ص 8-9.
[7] - النعمي السائح العالم، المرجع نفسه، ص5.
[8]- آمال يونس على فوني، التعليم في برقة إبان الاحتلال الايطالي (1911- 1943م) مقالة، قسم التاريخ ، جامعة عين شمس، مجلة البحث العلمي في الأدب ، المجلد 18 ، الرقم المسلسل للعدد 2، أغسطس 2017 الصفحة 1-19. ص ص2-3.
[9]- مصطفى رجب يونس، المنفى الذهبي، بالبو في ليبيا، أضواء وظلال، دار الفرجاني، ط1، 2022م، ص152-154.
10- أمال يونس على فوني، المرجع السابق، ص5- 6.
11- أمال يونس على فوني، المرجع نفسه، ص7.
12- مصطفى رجب يونس، المرجع السابق، ص158-165.
13- سالم فرج السويدي، السياسة الثقافية الايطالية في ليبيا(1911-1939م)، مجلة جامعة سبها (العلوم الإنسانية)، العدد الثاني، 2013م، ص2.
14- صلاح الدين حسن السوري، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، ليبيا والغزو الثقافي الايطالي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998م، ص450-452.
15- سالم فرج السويدي، المرجع السابق، ص82.
16- محمد أنور حجاب، سيكولوجية الولاء والانتماء، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ص ص9-1.
17- طورة شرودر وليفيا تاغلياكوزو، كيف اندثرت ليبيا الايطالية، مقالة خاصة، مجلة زينيت، 6\9\2019م.
18 - صلاح الدين حسن السوري، المرجع السابق، ص 488.
19- أسماء حسن سعيد مصوى الغامدي، الهوية الوطنية في ليبيا والاستعمار الايطالي (1911-1951)، جامعة الباحة، العدد الحادي والثلاثون، أصدار الثالث ، أغسطس، ص2864-2864.
20- راشد بن عودة أسماء المرجع السابق، ص37-40.
21- ليلى علي العاتين، أثر عمليات الهجرة على تغير التركيبة السكانية في ليبيا أبان فترة الاحتلال الإيطالي 1911-1943م، المجلة الجامعة، العدد الثامن عشر، المجلد الثاني، مايو 2016 م، ص9-12.
22- ليلى علي العاتين، المرجع نفسه، ص 47-49.
23- السياسة الإيطالية بين الحربين العالميتين في ليبيا، المرجع السابق، ص67-70.
24- راشد بن عودة أسماء، السياسة الاستعمارية الايطالية وانعكاساتها على ليبيا(1911-1942م)، مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة الماستر في التاريخ، جامعة أحمد دراية، الجزائر، 2018م، ص ص40-41